وتكون آية من كتاب الله وقد بلغنا من ذلك عجائب وعالم يبلغنا أكثر وحدثني ثقة أنه
تولى مدرسة مشهد الحسين بمصر بعض أئمة المتكلمين يسمى شمس الدين الأصبهاني
فتبع الأبكي فاعطوه جزأ من الربعة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ألمص حتى قيل له
هي الف لام ميم صاد . فتأمل هذه الملكة العادلة ليتبين لك ان الذين يعيبون
اهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم زنادقة منافقون بلا ريب ولهذا ما بلغ الإمام
احمد عن ابن ابي قتيلة أنه ذكر عنده أهل الحديث بمكة فقال قوم سوء فقام الامام
احمد وهو ينفض ثوبه ويقول زنديق زنديق زنديق ودخل بيته فانه عرف مغزاه .
وعيب المنافقين للعلماء بما جاء به الرسول قديم من زمن المنافقين الذين كانوا على عهد
النبي صلى الله عليه وسلم . واما أهل العلم فكانوا يقولون هم الابدال لانهم ابدال الأنبياء
وقائمون مقامهم حقيقة ليسوا من المعد ومن الذين لا يعرف لهم حقيقة كل منهم يقوم مقاما
الانبياء في القدر الذي ناب عنه فيه هذا في العلم والمقال ، وهذا في العبادة والحال وهذا
في الامرين جميعا ، وكانوا يقولون هم الطائفة المنصورة الى قيام الساعة الظاهرين على الحق
لان الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله معهم وهو الذي وعد الله بظهوره على الدين
كله وكفى بالله شهيدا . فصل وتخليص النكتة ان الرسل اما انهم علموا الحقائق الخبرية
والطلبية أولم يعلموها ، واذا علموها فاما انه كان يمكنهم بيانها بالكلام والكتاب اولا ،
يمكنهم ذلك واذا أمكنهم ذلك فاما ان يمكن للعامة وللخاصة فان قال انهم لم يعلموها
وان الفلاسفة والمتكلمين اعلم بها منهم واحسن بيانا لها منهم فلا ريب ان هذا قول
الزنادقة أو انه لا يقوله الا منافق او جاهل ، وان قال ان الرسل مقصدهم صلاح عموم
الخلق وعموم الخلق لا يمكنهم فهم هذه الحقائق الباطنة فخاطبوهم بضرب الأمثال
ليتفقموا بذلك واظهر والحقائق العقلية في القوالب الحسية فتضرح خطابهم عن
الله وعن اليوم الآخر من التخييل والتمثيل للمعقول بصورة المحسوس ما ينتفع به

كما يزعم بعضهم انهم مغبونون عن الدرجات ويسمونهم رجال الغيب واهل الدرجات وغيرذلك من الترهات الفلسفة للعقول والله يأبى

عموم الناس في امر الايمان بالله وبالمعاد وذلك يقر في النفوس من عظمة الله وعظمة
اليوم الآخر ما يحض النفوس على عبادة الله وعلى الرجاء والخوف فينتفعون بذلك
وينالون السعادة بحسب امكانهم واستعدادهم اذ هذا الذي فعلته الرسل غاية
الامكان في كشف الحقائق لعموم النوع البشري ومقصود الرسل حفظ النوع البشري
واقامة مصلحة معاشه ومعاده فمعلوم ان هذا قول حذاق الفلاسفة مثل الفارابي
وابن سينا وغيرهما وهو قول كل حاذق وفاضل من المتكلمين في القدر الذي يخالف
فيه اهل الحديث . فالفارابي يقول ان خاصة النبوة جودة تخييل الأمور المعقولة
في الصور المحسوسة أو نحو هذه العبارة وابن سينا يذكر هذا المعنى في مواضع
ويقول ما كان يمكن موسى بن عمران مع أولئك العبرانيين ولا يمكن محمدا مع اولئك
العرب الجفاة ان يبين لهم الحقائق على ما هي عليه فانهم كانوا يعجزون عن فهم
ذلك وان فهموه على ما هي عليه انحلت عزائمهم عن اتباعه لانهم لا يريدون من العلم
ما يقتضي العمل وهذا المعنى يوجد في كلام ابي حامد وأمثاله ومن بعده طائفة
منه في الأحياء وغير الاحياء ، وكذلك في كلام الرازي . واما الاتحادية ونحوهم
من المتكلمين فعليه مدارهم وصبي كلام الباطنية والقرامطة عليه لكن هؤلاء يتكرون
ظواهر الأمور العملية والعلمية جميعا واما غيرهؤلاء فلا ينكرون العمليات الظاهرة المتواترة
لكن قد يجعلونها لعموم الناس لا لخصوصهم كما يقولون مثل ذلك في الأمور الخبرية ومبنى
كلامهم على ان الرسالة متضمنة لمصلحة العموم علما وعملا وأما الخاصة فلا وعلى هذا
يدور كلام أصحاب رسائل اخوان الصفا وسائر فضلاء المتفلسفة ثم منهم من يوجب
اتباع الامور العملية من الامور الشرعية وهؤلاء كثيرون في متفقهتهم ومتصوفتهم
وعقلاء فلاسفتهم والى هنا كان ينتهي علم ابن سينا اذ تاب والتزم القيام بالواجبات
الناموسية فان قدماء الفلاسفة كانوا يوجبون اتباع النواميس التي وضعها اكابر
حكماء البلاد قالوا يوجب اتباع نواميس الرسل أولى فانهم كما قال ابن سينا : اتفق
فلاسفة العالم على أنه لم يقرع العالم ناموس أفضل من هذا الناموس المحمدي وكل عقلاء

Copyright © King Saud University